

3- شرح التبيان في أيمان و أقسام القرآن للإمام ابن القيم الجوزية

| ٣١/٠١/٤٤٤١ | الشيخ أ.د يوسف الشبل

يوسف الشبل

بسم الله والحمد لله صلي وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين واله وصحبه ومن اهتدى بهداه الى يوم الدين اما بعد ايها الاخوة الكرام السلام عليكم رحمة الله وبركاته. الكتاب الذي بين ايدينا وفي التبيان في ايمان القرآن الكريم. لمؤلفه العلامة -

00:00:00

العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى. ابن قيم الجوزية او ابن القيم هذا كتاب قرأنا فيه وقف بنا الكلام عند الفصل الخامس. تفضل يا شيخ اقرأ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حياكم الله حياك الله اهلا وسهلا - 00:00:18

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين والمسلمين اجمعين. قال الامام ابن القيم رحمه الله تعالى فصل ومن ذلك - 00:00:40

قوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها الى قوله فالفهمها فجورها وتقواها. قال الزجاج وغيره جواب القسم قد افلح من ولما قال الكلام حسن حذف اللام من الجواب. وقد تضمن هذا القسم - 00:00:56

الاقسام بالخلق والمخلوق فاقسم بالسماء وبانيها والارض وضاحيها والنفس ومسويها. وقد قيل انما مصدرية فيكون الاقسام بنفس نفس فعله تعالى. فيكون قد اقسام بالمصنوع الدال على عليه سبحانه الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده. ولما كانت حركة الشمس والقمر والليل والنهار امرا يشهد الناس حدوثه شيئا فشيئا - 00:01:13

يعلمون ان الحادث لابد له من محدث كان العلم بذلك منزلا منزلة ذكر المحدث له لفظا المحدث به ذكر يحدث له لفظا فلم يذكر الفاعل في الاقسام الاربعة الاول ولهذا يسلك طائفة من النظار الاستدلال بالزمان على الصانع وهو استدلال صحيح قد نبه عليه القرآن في غير موضع كقوله تعالى - 00:01:43

ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الاباب. ولما كانت السماء والارض ثابتتين حتى ظن من ظن انهما قدما ذكر ذكر مع الاقسام بهما ذكر مع الاقسام بهما - 00:02:09

ذكر مع الاقسام بهما بانيه وبانيهما ومبدعهما. وكذلك النفس فان حدوثها حتى ظن بعضهم قدمها فذكر مع الاقسام بها مسويها وفاطرها. هذا معنى في ذكر بناء السماء وطحو الارض وتسوية النفس من الدلالة على الرحمة والحكمة والعناية بالخلق فان بناء

السماء يدل على انها كالقبة العالية على الارض - 00:02:27

جعلها فان بناء السماء يدل على انها كالقبة العالية على الارض وجعلها سقفا لهذا العالم والتحمي هو مد الارض وبسطها. وتوسيعها ليستقر عليها الانام والحيوان. ويمكن فيها يستقر عليها الانام والحيوان ويمكن فيها البناء والغراس والزرع وهم متضمنون لنضوب

الماء - 00:02:57

في عنها وهو مما حير عقول الطبائعيين حيث كان مقتضى الطبيعة تغمرها كثرة الماء حيث كان مقتضى الطبيعة ان تغمرها كثرة الماء فبروز جانب منها عن الماء على خلاف مقتضى الطبيعة - 00:03:29

وكونه هذا الجاء وكونه هذا الجانب دون غيره نعم وكونه هذا الجانب المعين دون غيره مع استواء الجوانب في شكل الكوري او الكوري او الكوري. يقتضي تخصيصا فلم يجدوا بدا من ان يقولوا - 00:03:48

عناية الصانع اقتضت ذلك قلنا فنعم اذا ولكن عناية من لا مشيئة له ولا ارادة ولا اختيار ولا علما بمعين اصلا تقولونه فيه محال. عنايته تقتضي ثبوت صفات كماله ونعومة جلاله. وان الفعال يفعل باختياره ما يريد. وكذلك النفس اقسام - [00:04:08](#)

بها وبمن سواها والهمها فجورها وتقواها فان من الناس من يقول هي قديمة لا موجهة لها ومنهم من يقول بل هي التي تبدع فجورها فذكر سبحانه انه هو الذي سواها وابدعها وانه هو الذي الهمها فجور التقوى. فعلمنا انه خالق نفوسها واعمالها - [00:04:28](#)

وذكر لفظ التسوية كما ذكره في قوله تعالى ما ضر جبريل الذي خلقك فسواك فعدلك وفي قوله عز وجل فاذا سويته نفخت فيه من روحي ايذانا بدخول البدن في لفظ النفس او - [00:04:48](#)

قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وقوله تعالى فسל آآ فسلموا على انفسكم ولا تقولوا واو نعم ولا تقتلوا انفسكم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ونظائره وباجتماع الروح مع البدن تصير النفس فاجرة او تقية - [00:05:04](#)

بدون البدن لا فجور لها. وقوله تعالى قد افلح من زكاها الضمير المرفوع في زكاها عائد على من؟ وكذلك هو في دساها. والمعنى قد افلح من زكى نفسه وقد خاب من دساها. هذا هو القول الصحيح وهو نظير - [00:05:24](#)

قد افلح قد افلح من تزكى. وهو سبحانه اذا ذكر ذكر الفلاح علقه بفعل المفلح كقوله قد افلح المؤمن الذين هم ذاتهم خاشعون الى اخر الايات وقوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون. بعد قوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة - [00:05:44](#)

وقوله انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون. ونور اليه. قال الحسن قد افلح من زكى نفسه وحملها على طاعة الله وقد خاب من اهلكها وحملها على معصية الله وقاله قتادة - [00:06:04](#)

وقال ابن قتبية يريد افلح من زكى نفسه اي اناها واعلاها في البر والصدقة والكف عن المعاصي والتنافس في الدرجات واصطناع المعروف وكنت خائفة من عند الساعة اينقصها واخفاها بترك عمل ذلك البر وركوب المعاصي. والفاجر ابدأ خفي المكان - [00:06:24](#)

والفاجر ابدأ خفي المكاره. زمر المروءة غامض الشخص ناكس الرأس فكأن نقف بارتكاب الفواحش دس نفسه وقمعها ومصطنع الماء ومصطنع المعروف فكان نعم. فكأن النطف ارتكاب الفواكه عندي فكان المتصف - [00:06:44](#)

المتصفة. المتصف. المتصفة بارتكاب الفواحش عندي حتى لم يشر الى فروق نسخ. مم. يعني من اتصف بارتكاب الفواحش دس نفسه نعم هنا علق عندك الحاشية للفائدة قال ان رجل مريب - [00:07:13](#)

وقع في نظف اي شر وفساد فيكون كان معنا شيخنا يكون الكلام فكانه نطق اي فكان الرجل المريب الفواحش يدس نفسه. صح ممكن. يعني تشيل الضبطين او كلا صحيح؟ ممكن صحيح ايه. يستقيم يعني. يستقيم - [00:07:47](#)

اي نعم. قوله رحمه الله تعالى فكأن المتصف بارتكاب الفواحش دس نفسه وقمعها ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفع. وكانت اجاء وكانت اجواد العرب تنزل الروبا وينفع الأرض لتشهر بها انفسها للمعتفين وتوقد النيران - [00:08:07](#)

لئيل الطارقين وكانت اللثام تنزل الاولاد والاطراف والاهضام لتخفي نفسها لتخفي انفسها واماكنها على الطالبين فاولئك اعلوا انفسهم وزكوها وهؤلاء اخروا انفسهم ودسوها وانشد وانشد في ذلك وبوأ بيتك في معلم رحيب المباء. رحيب المباءة والمسرح كفيت العفاة طلاب القرى - [00:08:32](#)

ونبح الكلاب لمستنجح. وقال ابو العباس سألت ابن الاعرابي عن قوله فقال دس معناه دس نفسه مع الصالحين وليس منهم. وعلى هذا اخفى نفسه في الصالحين يرى ان يري الناس انه منهم وهو منطوي على غير ما ينطوي عليه الصالحون. قال طائفة اخرى الضمير يرجع الى الله سبحانه وتعالى - [00:09:03](#)

عن ابن عباس في رواية عطاء قد افلحت نفس زكاها الله وهذا قول مجاهد والكلبي وسعيد ابن جببر ومقاتل قال سعدت نفس وافلحت نفس اصلحها الله للطاعة حتى عملت بها - [00:09:31](#)

وخابت وحسرت نفس اضلها الله واغواها وابطلها واهلكها. قال الرباب هذا القول قد اقسام الله تعالى بهذه الاشياء التي ذكرها لانها تدل على وحدانيته وعلى فلاح من طهره وخسارة من خذله حتى لا يظن حتى لا يظن احد انه هو الذي يتولى - [00:09:49](#)

نفسى واياك بالمعصية من غير قدر سابق وقضاء متقدم. قالوا وهذا ابغ في التوحيد الذي سيقته له هذه السورة. قالوا ويدل عليه

قوله الهمها فجورها وتقواها. قالوا ويشهد له حديث يافع ابن عمر نعم. عن ابن ابي - 00:10:09

عن عائشة رضي الله عنها انها قالت انتبهت ليلة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ربي اعط نفسي تقواها ازكها من زكاها انت وليها ومولاها. قالوا فهذا الدعاء هو تأويل الآية. بدليل الحديث الاخر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ قد افلح من زكاها وقف - 00:10:29

ثم قال اللهم ات نفسي تقواها انت وليها ومولاها وزكها انت خير من زكاها. قالوا وفي هذا ما يبين ان الامر كله له سبحانه فانه هو النفس وهو ملهمها الفجور والتقوى وهو مزيكها ومدسيها. اليس للعبد في الامر شيء ولا هو مالك من امر نفسه شيئا. قال ابواب القول الاول هذا - 00:10:49

قول وان كان جائزا في العربية حملا للضمير المنصوب على معنى من؟ وان كان لفظها مذكرا كما في قوله عز وجل. ومنهم من يستمع يستمعون اليك جمع الضمير او جمع نعم جمعا ضميرا وان كان لفظا مفردا حملا على معناها فهذا انما يحس - 00:11:09
انما يحسن حيث لا يقع لبس في مفسر الضمائر وهنا قد تقدم لفظ من والضمير المرفوع في زكاها قبول لفوا ومعنى فهو اولى به ثم يعود الضمير المنصوب على النفس التي هي اولى به رزق ومعنى وهذا - 00:11:29

يا شيخنا. تفضل اخوي. نعم. فهذا هو النظم الطبيعي الذي يقتضيه سياق الكلام ووضعه. واما عود الذي يلي من؟ على الموصول السابق وهو قوله وما سواها واخلاء جاره المناصف واخلاء جاره الماصق له وهو من - 00:11:49
من عوده اليه ثم عود الضمير المنصوب وهو مؤنث على من ولفظه يذكر دون النفس الانثى فهذا يجوز لو لم يكن للكلام محمل غيره احسن منه. فاما اذا كان سياق الكلام ونغمه يقتضي خلافا ولم تدع الضرورة اليه الحمد عليه ممتنع. قالوا والقول الذي ذكرناه ارجح من - 00:12:09

احدها احدنا ان في ان فيه اشارة الى ما تقدم من تعليق الفلاح على فعل العبد واختياره كما هي طريقة القرآن. الثاني ان ان فيه زيادة في زيادة فائدة وهي اثبات فعل العبد وكسبه - 00:12:29

ويعاقب عليه وفي قوله فالهمه فجور الشقاء اثبات القضاء والقدر السابق. فتضمنت الآية الايتان هذين الاصلين العظيمين وهما كثيرا ما في القرآن كقوله انه تذكر انه تذكره فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله. وقوله - 00:12:51

لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا يشاء الله رب العالمين. فتضمنت الايتان الرد على القدرية والجبرية. الثالث ان قولنا يستلزم ان قولنا يستلزم قولكم دون العكس فان العبد اذا زكى نفسه ودساها فان من يزكيها بعد تزكية الله له بعد تزكية - 00:13:11
لها بتوفيقه واعانتة. وانما يدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه. والتخلية بينه وبين نفسه بخلاف ما اذا كان المعنى على القدر المحض لم يبقى للكسب وفعل العبد ها هنا ذكر البتة. طيب. ومثل ما ذكرنا يعني - 00:13:30

ابن القيم رحمه الله تعالى يأتي على الايات التي فيها القسم ويبدأ يتكلم عنها وعن تفسيرها وعن دلالاتها فهو الان في سورة الشمس انا اسأل كم اقسام الله بكم يعني بكم امر اقسام الله به في هذه السورة؟ اقسام - 00:13:50

الشمس وضحاها والقمر اذا تلاه والقمر والنهار والليل تم احدعش احسنت احدعش يعني احدعش يقول السعدي رحمه الله يقول يعني هذي الاحدعش كلها يكفي واحد لو قال والشمس كفى يعني هي في يعني - 00:14:10

اذا اقسام بشيء واحد يكفي. فكيف بهذه الاشياء؟ على اي شيء؟ على هذا الانسان. انه متى ما زكى نفسه بالطاعات والاستقامة الى ربي فقد افلح ومتى ما خلى نفسه تضيع في يعني في هذه المعاصي فالنتيجة انه قد خاب - 00:14:30

وضاع وهلك. ابن القيم رحمه الله يتكلم عن هذه الامور. وعن ما معنى تزكية النفس؟ وكيف يزكيها؟ وما معنى يعني يعني انه يخفي نفسه ولا يظهرها. وقد خاب من دساها واخفاها. كل هذه الامور تكلم عنها - 00:14:50

الان سينتقل الى خاتمة السورة. ثم ينتقل الى سورة اخرى فيها قسم. لكن خاتمة السورة ما هي؟ هي خاتمة سورة الشمس ان الله سبحانه اعطانا مثالا ممن دس نفسه وهم قوم ثمود قوم صالح - 00:15:10

الذين ارسل الله اليهم صالحا نبيا واعطاهم المعجزة العظيمة وهي الناقة. فكيف هلكوا وضاعوا بسبب انهم دسوا انفسهم ولم فلم

يزكوها بالطاعات. سيتكلم عنها. لكن هنا نقطة اللي كنت أسأل عنها الاخ تركي وهي ان هنا - [00:15:30](#)

قال ابن القيم قال وقال ابو العباس سألت ابن الاعرابي من هو ابو العباس؟ ابو العباس هذا ثعلب احد ائمة اللغة اذا قال اللغة ابو العباس فهم يقصدون احمد الملقب بثعلب. سموه ثعلبا قالوا لكثرة التفاتاته لانه يلتفت بسرعة فسموه ثعلب - [00:15:50](#)

ولا اسمه احمد. وهو ملقب وهو وكنيته ابو العباس. اذا قيل ابو العباس عند اهل اللغة والمراد به ثعلب. طيب نواصل الفصل الاخير هذا المتعلق وما جرى لتموت. تفضل اقرأ - [00:16:10](#)

انا رحمه الله تعالى فصل وذكر في هذه السورة ثمود دون غيرهم من الامم المكذبة. قال شيخنا هذا والله اعلم من باب التنبيه بالادنى على الاعلى فانه لم يكن في الامم المكذبة اخف ذنبا وعذابا منه. اذ لم يذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد - [00:16:30](#)

عادي ومدينة وقوم لوط وغيرهم. ولهذا لما ذكرهم معاذيا قال فاما عادوا فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة. او لم يرد ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون. واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى. وكذلك اذا -

[00:16:50](#)

تراهم مع الامم المكذبة لم يذكر عنهم اية لم يذكر عنهم ما يذكر عن اولئك من التجبر والتكبر والاعمال السيئة والميزان والفساد في الارض كما في سورة هود والشعراء وغيرهما. فكان في قوم لوط يرمى الشرك اتيان فكانوا - [00:17:10](#)

بقوم لوط مع الشرك اتيان الفواحش التي لم يسبقوا اليها. وفي عهد مع الشرك التجبر والتكبر والتوسع في الدنيا وشدة وقولهم من اشد منا قوة. وفي اصحاب مدينة مع الشرك الظلم في الاموات. وفي قوم فرعون الفساد وفي الارض والعلو. وكان عذاب كل -

[00:17:30](#)

بحسب ذنوبهم وجرائمهم تعذب عادا بالريح الشديدة العاتية التي لا يقوم لها شيء. وعذب قوم لوط بانواع من العذاب لم يعذب فيها امة غيره فجمع بين لهم بين الهلاك والرجم بالحجارة من السماء وطمس الابصار وقلب ديارهم عليهم بان جعل عاليها سافلون -

[00:17:50](#)

والخسف به الى اسفل سافلين وعذب قوم شعيب بالنار التي احرقتهم واحرقت تلك الاموال التي الاموال التي اكتسبها بالظلم والعدوان. واما ثمود فاهلكتهم فاهلكتهم بالصيحة فماتوا في الحال. فاذا كان هذا عذابه لهؤلاء وذنب وذنبهم مع الشرك عقر ناقة

واحدة جعلها الله اكبر - [00:18:10](#)

لهم فمن انتهك محارم الله واستخف باوامره ونواهيه وعقره عباده وسفك دمائهم كان اشد عذابا. ومن اعتبر احوال العالمي حديثا وما يعاقب به من سعى في الارض بالفساد وسفك الدماء بغير حق واقام الفتن واستهان بحرمات الله علم ان النجاة في - [00:18:34](#)

الدنيا والاخرة للذين امنوا وكانوا يتقون. قلت وقد يظهر في تخصيص نموذج للذكرها هنا دون غيره من معنى اخر. وهو انهم ردوا الهدى بعدما وكانوا مستبصرين به قد ثلجت له صدورهم واستيقظته انفسهم فاختراروا عليه العمى والضلالة كما قال تعالى في

وصفهم واما ثم دفاء - [00:18:55](#)

فاستحبوا العمى على الهدى. وقال تعالى واتيتم ثمود الناقة مبصرة. اي موجبة لهم التبصر واليقين ان كان جميع الامم المهلكة هذا شأنه المهلكة هذا شأنهم فان الله لم يهلك امة الا بعد قيام الحجة عليها لكن خصت ثمود من ذلك الهدى والبصيرة - [00:19:15](#)

بمزيد ولهذا لما قرنه انبعثت قال فاما عادوا فاستكبروا في الارض بغير الحق. الاية ثم قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ولهذا امكن معادن المكابرة وان يقولوا لنبيهم ما جئتنا ببينة ولم يكن ذلك سمو ولم يمكن ذلك سمودا وقد رأوا البينة اعيانا -

[00:19:35](#)

وصارت لهم بمنزلة رؤية الشمس والقمر. فرد الهدى بعد والبصيرة التامة به فكان في تخصيص بالذكر تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه. وهذا داء اكثر الهالكين وهو اعم الادواء واغلبها على اهل الارض - [00:19:55](#)

الله سبحانه وتعالى اعلم السورة بقصة ثمود وابن القيم ينقل عن شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ما الحكمة من ذكر ثمود في سورة الشمس اقول لان اه ثمود كانوا اخف الناس عنادا وكفرا بالله عز وجل مكابرة وان العذاب - [00:20:13](#)

جاءهم ايضا باخف العذاب الصيحة. صاح بهم جبريل فتقطعت قلوبهم. الله اعلم بذلك يعني يقول انهم مثلا ايات واضحة فولم

يكونوا متجبرين. ولذلك كانوا اخف عذابا. الله اعلم. طيب. بعدها سينتقل المؤلف الى - [00:20:37](#)

فصل اخر والى سورة اخرى وهي سورة الفجر الله سبحانه وتعالى اقسم في سورة الفجر ايضا كم خمسة ها والفجر وليال عشر

والشفع والوتر والليل اذا يسر. خمسة اي نعم - [00:20:57](#)

يتكلم عنها الان وايضا جواب القسم عند الاكثر انه غير موجود يقدر اماود فجواب القسم قد افلح وهنا لم يذكر سيأتي كلام عن سورة

الفجر واختيار اسم الفجر. كل هذه ابن القيم يحاول انه يعني يبرز هذه الاشياء ويركز عليها - [00:21:16](#)

ثم ينتقل بعد ذلك الى سورة البلد كلها يمشي على الصور التي بها القسم. طيب نقف عند هذا القدر نكتفي به. ان شاء الله في اللقاء

القادم نستكمل موقفنا عنده والله اعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - [00:21:39](#)